

ما تخبئه الأيام

الكولونيل / شربل بركات

من يراقب أوضاع المنطقة اليوم، وخاصة لبنان وسوريا، يرى واضحا أن دور الأخيرة في بلد الأرز قد شارف على الانتهاء، وأن القرار برحيل جيشها ومخابراتها وحل زمرها التخريبية قد اتخذ، وهو يبلغ اليوم بالطرق الدبلوماسية لحفظ ماء الوجه وللتقليل من الانعكاسات السلبية والتشويشات التي لا يمكن للحكم في دمشق أن يحتويها إذا هي لم تنظم كما يجب .

المطلوب اليوم ليس أن تدب الفوضى في سوريا، ولا أن ينقلب الناس على الحكم العلوي، أو أن تسير المظاهرات في الشوارع كما سارت في بغداد، ولا المطلوب أن يعود الحريري إلى السعودية أو يهرب لحدود إلى طهران مع "جميل" و"السيد حسن"، ولا أن يعتكف زعيم المختارة في بيته ويرسل الرسل إلى السفارات التي كان يهاجمها منذ فترة قليلة لكي تشير عليه وترشده عن التصرف السليم...

المطلوب أيها السادة، وقد دقت ساعة النفير، أن يتحمل كل واحد مسؤولياته، وكما فعلت إسرائيل منذ ثلاث سنين يوم طلب منها الرحيل وتنفيذ القرارات الدولية، فلملمت جنودها وأسلحتها وحلت أجهزتها الأمنية وتخلت عن كل من كان عمل معها وانسحبت بدون أن تبقى أثرا يذكر بوجودها، إلا حزب الله، الذي أرادت سوريا أن تعاقب به اللبنانيين في الجنوب وسائر المناطق كي لا يحملوا بأن الأمور قد انتهت وأن الصراع مع إسرائيل قد عاد إلى حجمه الطبيعي، أي انتظار الحل الشامل مع احترام سيادة البلدين وحدودهما.

اليوم، وإذا كان السوريون وأزلامهم قد فهموا درس العراق ونتائجه فهم بدون أدنى شك بدأوا يتحضرون لتنفيذ المطلوب، والمطلوب واحد، أن يتركوا لبنان ويعودوا إلى بلادهم بعد أن يلمموا أذيالهم وأجهزتهم ويجمعوا الأسلحة والذخائر والسواطير والحراب التي وزعوها على جماعاتهم ومنظمات التخريب، ويستأذنوا في ليلة ليلاء دمي الحكم، ويرحلوا. ثم تبدأ مرحلة جديدة تتعلق بسياستهم داخل سوريا، وعليهم أن يتحملوا وزر السنين التي حكموا فيها بالبطش، والبطش لم يعد مسموحا به بعد اليوم، فهل سيستطيع حزب البعث في سوريا، والكلام هنا برسم "أبو جاسم" الوزير قانصوه الذي يهدد اللبنانيين بالفوضى بينما نحن من يخاف على السوريين جماعته من الفوضى داخل سوريا، هل سيستطيع الحكم العلوي أن يمنع الفوضى أثناء مرحلة التغيير؟ أم أنه سيطلب من الأمريكيين أن يضغطوا لصالح الاستقرار في سوريا، ويساندوا عملية التطور نحو الديمقراطية التي يخشى منها نظام البعث وحرسه القديم؟

صحيح أن لبنان بضعفه يبقى أقوى من محتليه، وأن الأيام سوف تظهر أن الديمقراطية اللبنانية هي الوحيدة في المنطقة العربية التي ستبقى والتي ستزدهر لأنها واقعية، ولم يستطع الطغاة، بالرغم من ثلاثين سنة من الضغط والحروب، من أن يقتلعوها وينزعوها من عقول وقلوب أبناء هذا البلد.

إن لبنان "خاصة سوريا الرخوة"، كما يسميه حكام دمشق، قد يكون الملاذ الوحيد لهؤلاء يوم يقوم عليهم شعبيهم، ولذا فنحن ندعوهم إلى التصرف بحكمة وبعيد نظر كي يستطيع اللبناني أن ينسى ما زرعه من أحقاد فيقبل أن يساعد سوريا على التقدم والسير على دروب الديمقراطية، لا أن يدير لها ظهره ويتركها تتصارع بأحقادها وتتمزق كما فعلت به طيلة ربع قرن.

إن التاريخ الذي سيكتبه اللبنانيون لن ينسى أبدا جرائم السوريين، ولا عمليات قتل الرموز اللبنانية، اعتقادا بأن قطع الرأس سيبيد القطيع، لكن البلد الذي تمتد جذوره لآلاف السنين وقد بني على الحرية معتقدا وتراثا، لا يمكن أن يخلو من القادة، ولا نقول الدمى، وكلما قطع له رأس نبت آخر، ولن يكون الحقد منهله، بالرغم من كل الجرائم التي ارتكبت بحق بنيه، فشعبه ينسى الأحقاد ويبني للمستقبل وسوف يكون لسوريا شقيقا محبا يساهم في عودتها إلى الشكل الطبيعي للجيرة والتقدم.

ندأنا للشعب اللبناني اليوم أن يبدأ التحضير لقيامه البلد ولعودة السيادة، بأن يتجمع ويحترم مفاهيم الحرية والديمقراطية، ندعو المساجين وعلى رأسهم "الحكيم" الذي تميز بالحكمة والصبر أن تكون أيام سجنهم مطهرا ومنسكا يعطيهم الزخم لبناء لبنان الحرية والكرامة، لبنان السيد الذي قوته ومنعته من داخله، ونشاطه وانطلاقه المتجدد دوما حالة طبيعية. ندعو المجموعات الحضارية التي دافعت عن وجودها في أحلك الظروف أن تنظم استمراريتها ومستقبل البلد على أسس الديمقراطية الحق والعدالة. ندعو من أبعدهم الاحتلال وأدواته على التحلي بالمسؤولية والاعتراف بالآخرين. ندعو أمهات الشهداء، وأمهات لبنان كلهم أمهات شهداء، أن يحترمن الدماء التي سفكت في سبيل مجد هذا البلد وديمومته بأن يساهمن في عودة النوام والخلق والتفاعل بين مجموعات أرادوا لها الاقتتال وصوروها على غير صورها. ندعو الصامدين من أهلنا في الجنوب الذين تألموا يوم رماهم السوريون وأعوانهم بالخيانة وهم من قدم على مذبح هذا البلد دماء بنيه في سبيل أن يبقى آخر حجر من لبنان مقدسا حرا لا يرضى بغير لبنان محجا أو سيدا ولا يقبل بأن يتاجر به في سبيل أية أمة أكانت عربية أو فارسية، متسترة بالدين أو الشعارات الرنانة، مزينة بالحقد الأعمى أو بتفسيرات وهمية لكتب السماء، ندعوهم أن يعودوا إلى الأرض التي أحببتهم وقد جبلوا ترابها بالدماء والترفع عن البغض بالعمل لازدهار البلد وتقوية ركائزه .

فيا أيها الأهل إن الأيام القادمة هي فعل إيمان جديد بلبنان فلنكن على قدر المسؤولية ولنقف صفا واحدا موحدا لاستعادة بلدنا من أيدي الطامعين ولنكن قدوة الأمم في التكاتف والتضامن كي يعرف الكل أننا على قدر المهمة وأننا جديرين بالعطية، ألا وهي أن نحرس هيكل المحبة والانفتاح، هيكل الحرية والتقدم، موطن الأرز الذي وهبنا الله وجعلنا عليه أوصياء. وليفهم الأغبياء ممن ساروا في ركب المحتلين أن نهاية هؤلاء هي بداية عهد جديد للبنان المزهري الذي سيعود لينير الشرق حضارة ورقيا، معرفة وإشعاعا، حرية وديمقراطية...

٢٠٠٣/٥/٢٠